وتُعد افضل السياسات الخارجية الناجحة هي تلك السياسات التي يعمل على تنفيذها جهاز دبلوماسي كفوء يجمع بين المعرفة بعلم الدبلوماسية وفنونها ، وبين التجربة والممارسة . وبخلافه تصبح الدبلوماسية عقبة أمام السياسة الخارجية في تحقيق اهدافها .

نشأة وتطور الدبلوماسية

اولاً- الدبلوماسية في العصر القديم - المجتمعات البدائية :

يرجع تاريخ الدبلوماسية الى اقدم العصور ، وكانت المجتمعات البدائية تقيم العلاقات وتوفد عنها الممثلين لإجراء المفاوضات في بعض المناسبات . وعلى الرغم من ان الحروب بين الشعوب القديمة كانت تُعد من الأمور الطبيعية الا انه كان يتخلل تلك الحروب مراحل من التوقف والفتور يتقابل فيها ممثلوها للمساومة في شروط فض المنازعات او انهاء الحرب او تكوين نوع من التحالف بين فريقين أو لمجرد تباهي بعضها امام البعض الآخر بقوتها وبأسها . وبذلك يمكن القول ان اقدم الشعوب كانت تمارس "شبه مفاوضات دبلوماسية" يقوم بها ممثلون يمكن ان يسموا الى درجة ما بـــ "الدبلوماسيين" .

ثانياً- الدبلوماسية في الشرق القديم :

١- **وادي الرافدين ووادي النيل:** عندما ظهرت الحضارات القديمة في وادي الرافدين ووادي النيل ، اهتمت هذه الحضارات بتنظيم علاقاتها الخارجية عن طريق تبادل السفراء . ويؤكد ذلك سجلات ومخطوطات كل من وادي الرافدين ووادي النيل القديمة الحافلة باحترام السفراء من البلاد الاخرى وتقديسها لأعمالهم . وان عقد المعاهدات والتحالفات كانت من الأمور المألوفة لدى شعوب هذه الحضارات ، وان هذه المعاهدات كانت تعقد لعدد من المناسبات التي من أهمها معاهدات الحرب والصداقة بينها والجوار وغيرها ، حتى ان هنالك معاهدات تضمنت قواعد قبول وتسليم اللاجئين السياسيين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن الأمثلة على هذه المعاهدات : "معاهدة ناران سن" عام ٢٥٠٠ ق.م في استمرار العلاقات الودية بين الملك ناران سن و امراء آفان في وادي الرافدين ، و"معاهدة قادش" التي عقدت عام ١٢٧٨ ق.م في وادي النيل لاستعادة العلاقات الودية بين فرعون مصر وملك خيتا.

٢- **الدبلوماسية في الصين والهند القديمة** : لقد عرفت الحضارات القديمة في الصين والهند ممارسات دبلوماسية متقدمة فكانت ترسل وتستقبل المبعوثين ، وكان الغرض من ذلك استقصاء المعلومات السرية واعداد الترتيبات للتمهيد لإيجاد الحلول للمشاكل عن طريق التفاوض والوصول بعدها الى الاتفاقيات . كما كانت هذه الحضارات تقوم بالمفاوضات اثناء الحروب بهدف الوصول الى عقد معاهدات الصلح والسلام . وتشير سجلات وقوانين الهند القديمة بوجه خاص ان واجب الملوك تعيين السفراء من بين الرجال الذين يتمتعون بالمكانة الطيبة والشرف والقدرة العالية لتمثيل بلادهم على أحسن وجه . وكان بين المؤهلات التي يجب توفرها في من يكون سفيراً ان يمتلك قدرة وقابلية عالية على فهم همسات متحدثيه واشاراتهم وتقاطيع وجوههم .

ثالثاً- الدبلوماسية في اوروبا القديمة :

١- **الدبلوماسية عند اليونان (الاغريق)** : هنالك من يرى ان الدبلوماسية المنظمة بدأت مع نشوء الدولة المدنية في اليونان ، والواقع ان نظام الدولة المدنية هو حدث جديد لم تمارسه الاقوام التي سبقتهم بنفس الصورة التي مارسها اليونان ، اذ اوجد هذا النظام المئات من المدن المتجاورة ذات المصالح المشتركة التي كان عليها أن تتبادل المندوبين بينها لتأمين هذه المصالح ، بحيث دعت الضرورة الى ايجاد قواعد عامة لتنظيم العلاقات الدبلوماسية بينها . ولما كانت حياة كل من هذه المدن تتوقف الى حد كبير على مدى تعاونها مع غيرها في المجالات الحيوية ، فقد كان طبيعياً أن تبعث الى جاراتها من مواطنيها الممتازين الذين يستطيعون ان يمثلوها خير تمثيل، وكان يشترط في السفراء ان يكونوا ممن يحسنون فن الكلام والخطابة والذكاء .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وسعت الدول المدنية الاغريقية على ايجاد نظام وقواعد عامة للتمثيل والتفاوض الدبلوماسي لتسري على جميعها ، ومن هذه القواعد : حرمة المبعوثين الدبلوماسيين ، فقد كانت مخالفة هذه الحرمة امراً تتبذه تقاليد حسن الجوار . اما تعيين السفراء لإجراء المفاوضات فكان مرهوناً برئيس الدولة ، وكان كل سفير يتزود بالتعليمات الشفهية والتحريرية كي يسترشد بها اثناء القيام بمهمته. كما وضع اليونانيون قواعد قبول وتسليم اللاجئين السياسيين بين الدول الاغريقية المنتشرة بكثرة.

ولم يقتصر اليونان في تأكيدهم على اجراء المفاوضات الدبلوماسية الفردية في توجيه العلاقات بينهم قبل اللجوء الى الحرب فحسب ، وانما ابتدعوا طريقة عقد المؤتمرات الاقليمية التي يطلق عليها المؤتمرات "الامفكتيونية" وكانت غايتها التوصل الى مبادئ عامة جديدة تحفظ المصالح المشتركة وتلزم الأعضاء تطبيقها كما تفرض العقوبة على مخالفيها .

٢ – **الدبلوماسية عند الرومان** : أن طبيعة الرومان لم تكن ذات استعداد لفن التفاوض ، بل ان من اول اتجاهات الامبراطورية الرومانية السيطرة ، التي استمرت قروناً عديدة على الشعوب الاخرى ، سيطرة تقوم على القوة العسكرية البعيدة عن الدبلوماسية .

واستخدم الرومان الدبلوماسية في أواخر عهد امبراطوريتهم ، ولكن استخدموها بطريقة غير ما جاء به الاغريق ، فكانت بغرض نشر نفوذهم ، وسلطانهم ، فكانوا يستخدمون الدبلوماسية لإثارة المنافسة بين جيرانهم لغرض اخضاعهم جميعاً وسهولة التغلب عليهم بالنهاية . كما استخدموها لشراء صداقة الشعوب بالدهاء والمال لغاياتهم الخاصة. ومن هنا طلبوا من مبعوثيهم أن يكونوا دهاة ، اقوياء الملاحظة وذلك للكشف عن نقاط ضعف الشعوب التي يمثلون بلادهم فيها لكي تستخدم تلك النقاط بالذات وسائل لخلق المنافسة بينهم .

ولكن كل هذا خدم امبراطورية روما ايام قوتها فقط ، فحينما دب الضعف فيها ، عملت تلك الأساليب بذاتها على احلال الانقسام محل الوحدة والمكر محل الحكمة والدهاء محل المبادئ الخلقية . الامر الذي اضفى على الدبلوماسية سمعة سيئة واوصلها إلى مستوى واطئ ، كما انتقلت هذه الطرق الى الدويلات التي نشأت فيما بعد . ولم يقتصر ذلك على دويلات ايطاليا فقط ، بل انتقلت الى اقسام اوروبا الأخرى في القرون التالية ، فالدبلوماسيون في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner